﴿*وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾ [العنكبوت: 46]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تهيئةٌ حكيمةٌ لمُجادَلَةِ أهلِ الكِتاب بغيرِ أسلوبِ محاجّة الوثنيّين

في الآية السّابقة في قوله تعالى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: 45]؛ أمر الله تعالى نبيّه بالاشتغال بتلاوة القرآن وتعليمه، وبمتاركة المشركين والكفّ عن محاججتهم ومجادلتهم لِما أظهروه من جهلٍ وتعطيلٍ لعقولهم كما قال تعالى عنهم: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [العنكبوت: 43]، وكان ذلك إبّان نزول أواخِر هذه السّورة في مكّة، وكانوا على وشْك الهجرة إلى بلد فيه أهل كتاب، لذا بدأ سبحانه بتهيئتهم لمعاشرة أولئك النّاس في تلك البيئة الجديدة، فجاء قولُه تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ الآية، عطفًا على ما سبق وتوطئةً لما سيحدث من الدعوة في المدينة بعد هجرة النّبي ﷺ إليها[1].

ومن مناسبات الآية لما قبلها أنّه "لَمّا انتهى الكلام إلى روح الدّين وسرّ اليقين مما لا يعلمه حقَّ علمه إلا العلماء بالكتب السّماويّة والأخبار الإلهيّة، وكان العالِم يقدر على إيراد الشّكوك وترويج الشُّبَه، فربّما أضلّ بالشّبهة الواحدة النّيام من النّاس، بما له عندهم من القَبول، وبما للنّفوس من النّزوع إلى الأباطيل، وبما للشّيطان في ذلك من التّزيين، وكان الجدال يورث الإحَنَ، ويفتح أبواب المِحَن، فيَحْمِلُ على الضّلال، قال تعالى عاطفًا على ﴿ٱتۡلُ﴾ [العنكبوت: 45] مخاطبًا مَنْ خَتَمَ الآيةَ بخطابهم تنزيهًا لمقامه ﷺ عن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 5.

المواجهة بمثل ذلك تنبيهًا على أنّه لا يُصَوِّبُ همّتَه الشّريفةَ إلى مثل ذلك، لأنّه ليس في طبعه المجادَلة، والمماراة والمغالبة: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾"[1]، وكان قبل ذلك قد بيّن طريقة إرشاد المشركين ونَفَعَ مَنِ انْتفعَ وحصل اليأس ممّن امتنع فبيَّن هنا طريقة إرشاد أهل الكتاب بعدم المجادلة إلّا بالّتي هيَ أَحْسَنُ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُجَٰدِلُوٓاْ﴾: (جدل) أَصْلٌ واحِدٌ، وهوَ مِنْ بابِ اسْتِحْكامِ الشَّيْءِ في اسْتِرْسالٍ يَكونُ فيهِ، وامْتِدادِ الخُصومَةِ ومُراجَعَةِ الكَلامِ[3]، ورجل جَدِلٌ؛ أي خصمٌ، وأكثر ما يقال: جدّلته تجديلًا؛ أي: صرعته[4]، فالجدال: فتْلُ الخصم عن مذهبه؛ بطريق الحِجاجِ فيه، وأصله: شدّة الفَتْل، جَدَلْتُه أجْدِلُه جَدْلًا؛ إذا فتَلْتُه فتْلًا شديدًا، ومنه الأجدل للصّقر لشدّة فتْلِ بدنه"[5]، والمعنى المُراد: مناقشة أهل الكتاب وتقديم الأدلّة الدّامغة لهم على وحدانيّة اللّه؛ وصِدْقِ نُبوّة محمّد ﷺ.

2) ﴿ظَلَمُواْ﴾: (ظلم) أصْلانِ صَحيحانِ، أحَدُهُما خِلافُ الضِّياءِ والنّورِ، والآخَرُ وضْعُ الشَّيْءِ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ تَعَدِّيًا[6]، والتّعدّي يكون بوضع الشّيءِ في غَيرِ مَوضِعِه المُختَصِّ به، إمّا بنُقصانٍ أو بزيادةٍ، وإمّا بعُدولٍ عن وقتِه أو مَكانِه[7]، أو التّعدّي عن الحقِّ إلى الباطل وهو الجَوْر[8]، والأصل اللّغوي الّذي ينطبق على ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ في الآية هو النّوع الثّاني من الظّلم، فالّذين ظلموا منهم؛ قد ظلموا أنفسَهم عندما شابهوا المشركين عبّادَ الأوثان بأن جعلوا اللّه ثالث ثلاثة، أو أنهم نسبوا الولد للّه، تعالى اللّه عن ذلك، ولا شكَّ أنّ الشّركَ ظلمٌ عظيمٌ[9].

---

(1) البِقاعيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 14/ 449 - 450.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 63.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جدل).
(4) الخليل، العين: (جدل).
(5) ابن فورَك، تفسير ابن فورَك: 1/ 399.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ظلم): 3/ 468، والفيّوميّ، المصباح المنير، ص: 146.
(7) الرّاغب، المفردات، ص: 537.
(8) الجرجانيّ، التّعريفات، ص: 186.
(9) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 63.

3) ﴿مُسۡلِمُونَ﴾: (سلم) مُعْظَمُ بابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ والْعافيَةِ، فالسَّلامَةُ: أنْ يَسْلَمَ الْإِنْسانُ مِنَ الْعاهَةِ والْأَذَى، واللّٰهُ هوَ السَّلامُ لِسَلامَتِهِ مِمّا يَلْحَقُ الْمَخْلوقينَ مِنَ الْعَيْبِ والنَّقْصِ والْفَناءِ، ودارُ السَّلامِ جَنَّتُهُ الّتي لا يَشوبُها ولا يَشوبُ مَنْ دَخَلَها نَقْصٌ ولا يَفْتَقِدُ أَهْلُها حاجةً ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: 25]، ﴿لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ﴾ [الفرقان: 16] والْإِسْلامُ، وهوَ الِانْقيادُ؛ لِأَنَّهُ يَسْلَمُ مِنَ تَبِعاتِ الْإِباءِ والِامْتِناعِ[1]، وكذا الاسْتِسْلامُ لأمْرِ اللّٰهِ والانْقيادُ لطاعَتِه، والمُسْلِمُ: المُخْلِصُ للّٰهِ عِبادَتَه[2]، وأسْلَمَ أمرَه إلى اللّٰه، أي سَلَّمَ، وأسْلَمَ، أي دخل في السَلْمِ، وهو الاستسلام، وأسْلَمَ من الإسلام، وأسْلَمَهُ، أي خذله[3]، ومسلمون في الآية تعني المطيعين[4]، وهي جمع مسلم، وهو من انقاد للّٰه في جميع أوامره ونواهيه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بيانٌ للأسلوب الأمثل في دعوة أهل الكتاب، اللّطيف باللّطف، والعنيف بالعنف

بيّنت الآية طريقة إرشاد أهل الكتاب بقوله: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾؛ أي بالخصلة الّتي هي أحسن، وبالدّعوة إلى اللّٰه بآياته، والتّنبيه على حُجَجِه، إلّا مَنْ أبَى أنْ يُقِرَّ بالجزية ونَصَبَ الحرب، فجادِلوا هؤلاء بالسّيف حتى يُسلِموا أو يُعطوا الجزية[5]، وهؤلاء هم الّذين قال فيهم: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾؛ أي بالاعتداء، بأنْ أفْحَشوا في المقال وأوْغَلوا في الجدال، أو أنّهم ظَلَموا أنْ أشركوا باللّٰه، فلا حرج في مقابلتهم بالعُنف، لتَنَكُّبِهِم عن جادَّة اللُّطف[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: 3/ 90.
(2) الصاحب بن عبّاد، المحيط في اللّغة: 2/ 256.
(3) الجوهريّ، الصّحاح: 5/ 1952.
(4) السّيوطيّ والمحلّيّ، تفسير الجلالين، ص: 412.
(5) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 3/ 422.
(6) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 557.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

مَعنَى الواو في مطلع الآية:

تَـحَـوُّلٌ هـادٍ، وتعاملٌ هادِئ، وتـخـطـيـطٌ هادِف، مع أهل الكتاب

عطف قوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ على جملة: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: 45]، باعتبار ما تستلزمه من متارَكة المشركين والكفّ عن مجادلتهم بعد قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: 43][1]، والتّحوّل في التّعامل مع أهل الكتاب؛ بمجادلتهم بالّتي هي أحسن إلا إن أبَوْا، وفائدة العطف الجمع بين الأمرين: التّلاوة، وحسن المجادلة بوصف القرآن هو السّبيل لإلقاء الحجّة بما تضمّن من البراهين، والحُكْم المبين، ويجوز أن يكون كلامًا مستأنفًا مسوقًا للشّروع في بيان إرشاد أهل الكتاب وكيفيّة مجادلتهم[2].

دلالة النّهي في قوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾:

توجيهٌ وإرشاد في هداية العباد

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ يمكن أن يقال: خرج النّهي هنا عن بابه في الاستعمال إلى معنى الأمر والتّوجيه والإرشاد، وهذا يكون في حال أنّ الامتثال للمطلوب بهذا الأسلوب يحقّق النّفع ويعود بالفائدة إلى المخاطَب وإلى دعوته، والمُخاطَب هم جماعة المسلمين الّذين في تماسّ مباشر مع أهل الكتاب، وهم الّذين يعلمون طبيعة أهل الكتاب الّذين معهم؛ إنْ كانوا من الظّالمين أم لا؛ لاختيار أسلوب الجدال معهم إن كان بالحسنى أم لا.

نُكتَةُ الخِطاب بالنّهي:

التّحوُّل إلى الجِدال بالأحسَن

جاء الخطاب هُنا بالنّهي لأنّه قد وقع جدالٌ بينهم وبين أهل الكتاب؛ لِما وجَدَهُ المؤمنون في القرآن واستنبطوه وفهموه من آياته الّتي تقتضي المُفاصَلَةَ والمُقاطَعَةَ بينهم وبين المُشركين وأهل الكتاب،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 5.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 441.

فجاءت الآية لفائدة إيقاف هذا الأسلوب والتّحوّل إلى عدم الجدال معهم إلّا بالّتي هي أحسن.

فائدة النّهي بصيغة الجمع:

تعميم الخطاب للنّبيّ ﷺ وللمؤمنين

جيء في النّهي بصيغة الجمع ليشمل النّبيّ ﷺ أوّلًا فالمسلمين؛ إذ قد تُعرض للمسلمين مجادلات مع أهل الكتاب في غير حضرة النّبيّ ﷺ أو قبل قدومه المدينة[1].

دلالة التّعبير بالمجادَلة مادّةً وصيغةً:

نَبْذُ المشاحنات وقيامُ الدّعوة بالحكمةِ عملًا وبالأحسَنِ أسلوبًا

قوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ تقدّم أنّ الجدال: فتْلُ الخصم عن مذهبه بطريق الحِجاجِ فيه، وأصله شِدَّةُ الفتل[2]؛ وهو كذلك أن يَرومَ كلُّ واحد من الخصمين قهْرَ صاحبه وصَرْعَهُ على الجدالَة وهي الأرض، وعلى أيّة حال فهو إقامةُ الدّليل على رأيٍّ اختلف فيه صاحبه مع غيره، وقد تقدّم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [النّساء: 107][3]، وفي قوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾؛ الخطاب للمسلمين جميعًا، ودلّت صيغة المُضارَعة على تجدُّد ذلك الفعل مستمرًّا مع الزّمن؛ فنُهوا عن ذلك، لما يُحدثه من المُشاحنات التي تُبعد النّاس عن الإيمان برسالة محمّد ﷺ.

نكتة التّعبير بـ﴿أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ دون غيرها:

المقصود بأهل الكتاب عمومُ اليهودِ والنّصارى

أهل الكتاب: هم أتباعُ الأنبياء السّابقين الّذين أُنْزِلَ عليهم كتابٌ مقدَّسٌ كاليهود والنَّصارى، وقد تعدَّدَتِ الآراء في ضابط تحديدهم، والمقصود هُنا اليهود والنّصارى؛ أمّا اليهود فلأنّهم هم الّذين كانوا يكثر وجودُهم في المدينة والقُرى حولَها، وأمّا النّصارى فمثالهم نصارى نجران الّذين عَرَضَتْ مجادلتُهم عندما أتوا إلى النّبيّ ﷺ، وكثر جدالهم في عيسى عليه السلام، حتى دعاهم النّبيّ ﷺ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 4.
(2) ابن فورَك، تفسير ابن فورَك: 1/ 399.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 4.

إلى المباهلة فامتنعوا خوفًا[1]، وممن جمع بين اليهود والنّصارى في معنى أهل الكتاب في هذه الآية الطّبريُّ في جامعه[2]، وعليه فقوله: ﴿أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أراد به عمومَ اليهودِ والنّصارى، أمّا (الذين أوتوا الكتاب) فهم الخاصّة منهم، ممَّن يعرفون أحكام التّوراة والإنجيل، من عُلمائهم ورُؤسائهم.

معنى (أل) في ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

عـهـديَّـةٌ، تشير إلى أيّ واحد من الكتب السّماويّة المـعـلـومـة في الذّهن

التّعريف بـ(أل) في قوله: ﴿أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ للعهد، وفائدته الإشارة إلى أيّ واحد من الكتب السّماوية ممّا عُرِفتْ حقيقتُه في الذّهن من دون قصد إلى التّعيين، فقوله: ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ هنا دلّ على واحدٍ من الكتب السّماويّة أو رسالات الأنبياء، وهو التّوراة؛ فاليهود هُنا هم المقصودون بهذا الخطاب، وكذلك الإنجيل باعتبار تعميم الخطاب وشمول النّصارى.

دلالة الاستثناء في ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾:

منهج الإسلام اختيار السبيل الأحسن في المجادلة

الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ مفرّغٌ؛ لكون الكلام غيرَ إيجابٍ؛ لِسَبْقِهِ بلا النّاهية، ويكون المعنى: نفيَ كلِّ مجادلةٍ، واختصاصَها في حال واحدة دون غيرها، أي: جادلوهم بالأسلوب الألطف والأرفق، وهو جميل القول والدّعاء إلى الله والبيّنة على آياتِ الله وحججه[3]، وبالخَصْلة التي هي أحسن: وهي مقابَلَة الخشونة باللّين، والغضب بالكَظْم، والسَّوْرة بالأناة، كما قال: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [المؤمنون: 96][4]؛ أي: الموافقة فيما حدَّثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 6.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 46.
(3) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 7/ 284.
(4) الزَّمَخْشَرِيّ، الكشّاف: 3/ 461.
(5) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 320.

دلالة الاستثناء على المحذوف:

الاكتفاء بالمذكور اقتصادٌ بالكلام وبلاغةٌ تنأى عن السَّآم

قوله: ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ استثناءٌ من محذوف دلَّ عليه المستثنى، وتقدير الكلام: ولا تجادلوهم بجدالٍ إلا بجدالٍ بالّتي هي أحسَنُ، وفائدة الاكتفاءِ بالمذكورِ الإيجازُ، تجنّبًا لتكرار كلمة (الجدال).

معنى الباء في قوله: ﴿بِٱلَّتِي﴾:

صفة جدال أهل الكتاب

الباء عمومًا للإلصاق والمُصاحبة، والإلصاق هو المعنى الرئيس لها، وما ذُكر لها من معانٍ أُخَرَ تحمل هذا المعنى، فدلّ الكلام في قوله: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ على أنّه ينبغي أن يكون الحُسْنُ أسلوبًا عند جدال أهل الكتب وصفةً مصاحبة له وملتصقة به، وتوجيهُ وُرودِها أنَّ ما قبل ﴿إِلَّا﴾ وهو ﴿تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ يتطلّب مجرورًا بالباء؛ فجُرَّ بها ما بَعْدَ إلّا وهو (الّتي)، وتقدير المستثنى منه: (ولا تجادلوا أهل الكتاب بشيء إلا بالّتي هي أحسن).

غرض التّعبير بالاسم الموصول وصلتِه:

الـحُـسـنُ في الـتّـعـامـل مِـنْ أجْـدَى أساليبِ الإســـلامِ في الدّعوة

(الّتي) للمفردة المؤنّثة سواءٌ أكانت شخصًا عاقلًا أو غير ذلك، ومعنى ورودها في قوله: ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، أي: ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالكلمة التي هي أحسن، والتّعبير بالصّلة ﴿هِيَ أَحۡسَنُ﴾ لبيان عظيم شأن هذا الأسلوب في التّعامل مع أهل الكتاب؛ لأنّهم يعلمون جانبًا من الحقّ ويؤمنون بكتابهم، وفي هذه الصّلة تعريضٌ أيضًا بالّذين ظلموا منهم.

نكتة التّعبير بالجملة الاسميّة ﴿هِيَ أَحۡسَنُ﴾:

توحيد طريقة التّعامل مع أهل الكتاب

قوله: ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾؛ دلّت الجملة الاسميّة على الثّبات، فيكون ذلك أمرًا ثابتًا في طريقة مجادلة أهل الكتاب بالحُسنى، فهي طريقة واحدة في التّعامل مع المحسنين منهم، إلّا الّذين ظلموا منهم بأفعالهم وأقوالهم.

المُتشابِه اللّفظيّ في: ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾:

خُسنُ الخصال من أهمّ أخلاقيّات التّعامل في الإسلام

بَيْنَ قوله تعالى ههنا: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ وقوله سبحانه في موضع آخر: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [المؤمنون: 96] و[فُصِّلَت: 34][1]، وجْهُ تشابهٍ في تَمَثُّل خَصْلة الحُسْنِ في التّعامل في قوله: ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾؛ إذ تناولت آية العنكبوت أسلوب التّعامل مع أهل الكتاب بالخَصْلة الّتي هي أحسن كمقابلة الخشونة باللّين، والغضب بالكظم، والمشاغبة بالنّصح، واستثنى الّذين ظلموا من هذا التّعامل، أمّا في سورة المؤمنون فقد قدّمت الآية قاعدة عامّة مع أفراد المجتمع جميعًا بُغْيَةَ القضاء على العداوات وإشاعة الحبِّ والرّاحة النّفسيّة، فأتمّها بقوله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾ [فصّلت: 34].

نُكتَةُ دخول ﴿هِيَ﴾ ودَلالتُها على القَصْر:

انتقاء الأسلوب المُناسب في التّعامل مع أهل الكتاب

قوله: ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾؛ أي بالخَصلة التي هي أحسنُ على وجهٍ لا يدلُّ على الضَّعفِ ولا يُؤدّي إلى إعطاءِ الدَّنيّة[2]، فدلّ ضمير الفصل ﴿هِيَ﴾ على القَصْرِ على هذه الكلمة الحَسَنة، ودلّ كذلك على الاعتناء في اختيار الكلمة الحسنة، والأسلوب المناسب في التّعامل معهم.

وجه الوصاية بالحُسنى في المجادلة:

معاملتهم بالحسنى رجاء اهتدائهم

وَجْهُ الوصاية بالحسنى في مجادلة أهل الكتاب أنَّهم مؤمنون بالله غيرُ مشركين به، فهم مُتَأهِّلون لقبول الحجّة غيرُ مظنون بهم المكابرةَ؛ فينبغي الاقتصار في مجادلتهم على بيان الحجّة دون إغلاظ؛ حَذَرًا من تنفيرهم، ورجاءَ اهتدائهم، فإنْ هُمْ قابَلوا الحسنى بضدّها انتقل الحكم إلى الاستثناء الّذي في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾[3].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 3.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 42.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 6 - 7.

دلالة التّعبير بـ﴿أَحۡسَنُ﴾ مادّةً وصيغةً:

الإسلام يدعو إلى انتقاء الأفضل من الأقوال والأفعال

الحُسْنُ ضدُّ القُبْح، والمحاسن من الإنسان وغيره: ضدّ المَساوِئ[1]، وصيغَةُ ﴿أَحۡسَنُ﴾ على وزن (أفْعَل)؛ اسم تفضيل لكنّ جاء على غير باب التّفضيل، أي: ليس المراد منه معنى التّفضيل بين شيئين، بل يُقصَد منه المبالغةُ في الصّفة المذكورة، وهي هنا (الحُسْن)، وعلى كلِّ حال فإنّ اختيار اسم التّفضيل للتّعبير به يُعَدُّ دعوةً قرآنيةً مهمةً إلى انتقاء الأفضل من الكلمات والأقوال والأفعال عند التّعامل مع أهل الكتاب عمومًا، باستثناء الّذين ظلموا منهم، فالأصل في المجادلة التّعامل بالأسلوب الأمثل المناسب لكلِّ موقف.

ويجوز أن تكون صيغة ﴿أَحۡسَنُ﴾ اسم تفضيل على بابِهِ، أي: على بابه في استعماله للتّفضيل بين شيئين كما هو الأصل، بحيث يُقَدَّرُ المُفَضَّل عليه ممّا دلّتْ عليه القرينة؛ أي: بالّتي هي أحسنُ من مجادلتكم المشركين، أو بالّتي هي أحسنُ من مجادلتهم إيّاكم كما تدلّ عليه صيغة المُفاعَلَة.

ويجوز أن يكون اسم التَّفضيل مسلوبَ المُفاضلة أصلًا لقصد المبالغة في الحُسن، ويكون التقدير: (إلا بالمُجادلة بالحُسنى)، كقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: 125]، فالله جعل الخيار للنّبيّ ﷺ في مجادلة المشركين بَيْنَ أنْ يُجادلهم بالحُسنى؛ كما اقتضته آية سورة النَّحل، وبَيْنَ أنْ يجادلهم بالشِّدَّة كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾ [التّوبة: 73]، فإنَّ الإغلاظ شاملٌ لجميع المُعاملات، ومنها المجادلات، ولا يختصّ بخصوص الجهاد فإنَّ الجهاد كلَّه إغلاظٌ فلا يكونُ عَطْفُ الإغلاظ على الجهاد إلّا إغلاظًا غيرَ الجهاد[2]، فيكون أسلوب

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: 2/ 57.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 6.

معاملة الرّسول للّذين كفروا ونافقوا بحسب ما اقتضته الضّرورة، والمعنى: جادلهم بأفضل ما يناسب أحوالهم وأفعالهم؛ فدلّ قوله: ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ على ما تراه مناسبًا لموقف من المواقف؛ أي بالأسلوب الأمثل المناسب لكلِّ موقف.

معنى الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ تبيّنٌ للمُراد بالمُستَثنَيين، وهم الّذين أشركوا منهم وكان شركُهم بإثبات الولد لله، أو الّذين كان شركُهم بالقول بأنّه سبحانه ثالث ثلاثة تعالى الله عن ذلك؛ فإنّهم بهذا القول المنكر قد ضاهوا المشركين عبّادَ الأوثان بهذا الشّرك، فهم يجادَلون بالأخشن من القول لتهجين مقالتهم، وتَبْيين جهالتهم، لذا فهم ظالمون؛ والشّرك ظلمٌ عظيمٌ[1].

أعظم الظّلم هو الشّرك بالله

دلالة الاستثناء في ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؛ استثناء متّصل من السّابق ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ على معنى إلّا الّذين ظلموا منهم، فلا تجادلوهم بالحُسنى بل بالغلظة، أو هو متّصل من قوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ على معنى لا تُجادلوهم البتَّةَ، بل حكِّموا فيهم السّيف لعِنادهم[2]، أو هو متّصل من أهل الكتاب على معنى لا تجادلوهم؛ بل جادلوا غيرهم، والأوّلُ أوْلَى بقرينةِ جملة الاستثناء الأوْلَى.

الأوْلَى بالظّالمين جدالُهم بالغلظة، أو تركُهم والتحوّلُ عنهم

غرض التّعبير بالاسم الموصول وصلته:

الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ يستعمل لجماعة الذّكور العقلاء، وأفاد في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ التّعريض بذكر الصّلة وهي الظّلم، ويفيد كذلك شمول عموم الظّالمين منهم، وعن مجاهد ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ قال: هم أهل الحرب من لا عهد له فتجادلوهم

تَـــزكٌ شـامـلٌ للمجادلة مع جـمـيـع ظـالـمي أهل الكتاب

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 63.
(2) العُكْبَريّ، إملاء ما منّ به الرّحمن: 2/ 183.

بالسّيف[1]، أو هم الّذين أفرطوا في الاعتداء، والعِناد، وإظهار العَداء للنّبيّ ﷺ والمسلمين، ولم يقبلوا النّصح ولم ينفع فيهم الرِّفق، فاستعمِلوا معهم الغلظة، أو الّذين أثبتوا الولد والشّريك، وكذلك الّذين وصفوا الله بالبخل والعياذ بالله: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة: 64]، أو نبذوا الذّمّة ومنعوا الجزية، فحُقَّ مجادلة أولئك كلِّهم بالسَّيف[2].

وجه التّعبير عن الظّلم بالماضي:

دليلُ تحقّقِه، ووقوعه فعلًا واقعًا منهم

الظّلم مجاوزة الحدّ، ويقال فيما يقِلّ ويكثر من التّجاوز، ومنه وضْعُ الشَّيء في غير موضعه المختصّ به، إمّا بنقصانٍ أو بزيادةٍ وإمّا بعدولٍ عن وقته أو مكانه[3]، والتّعبير عنه بصيغة الماضي دليل تحقّقِه، ووقوعه منهم فعلًا واقعًا وباديًا منهم.

معنى (من) في قوله: ﴿مِنۡهُمۡۖ﴾:

ظهور الظّلم والعَداء كان من بعضهم

أفاد الحرف (مِنْ) في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ معنى التّبعيض؛ إذ دلّ على وقوع الظّلم من بعضهم، وهو الإشراك بالله والإصرار على ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: 13]، أمّا الّذين يؤمنون بالإله الواحد فليسوا من هؤلاء الّذين ظلموا، وبعضهم من أظهر العَداء للنّبيِّ وللمؤمنين، ولم ينفع معهم النّصح.

معنى الواو في قوله: ﴿وَقُولُوٓاْ﴾:

عطفٌ تعليميٌّ ليكون مقدّمةً للمجادَلة بالّتي هي أحسن

قوله تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ عطفٌ لجملة إنشائيّة على مثلها، وبينهما مع الاتّصال اختلاف من حيث المعنى المدلول عليه بكلٍّ منهما، فقد ذكرت الجملة الثّانية قضيةً يعتقدها المسلمون، وإنّما المجادلة تكون فيما يعتقد أهل الكتاب، مما يخالف عقائد المسلمين، ولأجل أنَّ مضمون هذه الآية لا يدخل في حيّز المجادلة عُطِفَتْ على

(1) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: 9/ 3069.
(2) الزَّمَخْشَرِيّ، الكشّاف: 3/ 461.
(3) السّمين الحلبيّ، عُمدَةُ الحُفّاظ: (ظلم).

ما قبلها، ولو كانت ممّا شمِلَتْه المجادلة لكان ذلك مُقْتضيًا فصلَها؛ لأنّها مثل بدل الاشتمال، والعطف في قوله: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ إلى آخر الآية تعليم لمقدّمة المجادَلة ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1].

دلالة الأمر في قوله: ﴿وَقُولُوٓاْ﴾:

إرشادٌ بالتّصريح بالإيمان لأنّه من صور الإحسان

في قوله: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ خرج الأمر إلى معنى التّوجيه؛ لما فيه من الإرشاد إلى طريقة الجدال بالحسنى مع أهل الكتاب، وعُبِّر بلفظ القول جمعًا؛ لأن مادّته تشمل كلَّ أنواع التّعبير اللّفظيّ، سواء ما كان منها مباشِرًا أو غير مباشِر، ويناسب ذلك الدّعوة إلى التّصريح والمجاهرة بإيمانهم بما أنزله الله تعالى، وتسليمهم له مجتمعين على ذلك لا يَنِدُّ عن الجماعة واحدٌ.

دلالة التّعبير بالفعل الماضي ﴿ءَامَنَّا﴾:

إيضاحٌ بأن إيمان المسلمين بالتّوراة والإنجيل مضى تبعًا لإيمانهم بالقرآن الكريم

الفعل ﴿ءَامَنَّا﴾ في قوله: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾؛ ماضٍ مُطلق، وهو الزّمن الّذي مضى قبل زمن التّكلّم، قريبًا كان أو بعيدًا، قال ابن يعيش: "وذلك أنّك تقول: (قام) فيصلح لجميع ما تقدّمك من الأزمنة"[2]، والإيمان هنا مجملٌ معلّقٌ على شرط: هو أن يكون منزَّلا، لا مبدَّلًا مُؤَوَّلًا، يعني: إذا أخبروا بما لا يُعلَم صِدْقُه ولا كذبُه، فهذا لا يُكَذَّب؛ لأنه قد يكون حقًّا، ولا يُصدَّق، فلعلّه أن يكون باطلًا[3].

وروى البخاريّ عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التّوراة بالعبرانيّة ويفسّرونها بالعربيّة لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم)، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة: 136] الآيَةَ[4]؛ إذ إنّ إيمان المسلمين بالتّوراة والإنجيل تبعٌ لإيمانهم بالقرآن الكريم، غير معتمدين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 7.
(2) ابن يعيش، شرح ابن يعيش: 8/ 110.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 283.
(4) البخاريّ، صحيح البخاريّ، رقم الحديث: (4485).

على ما يقوله أهل الكتاب عن كُتُبهم، وهذا ما أفاده الماضي في قوله: ﴿ءَامَنَّا﴾.

نكتة تعدية الإيمان بالباء:

معنى الباء في قوله: ﴿بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ الإلصاق والاختلاط، ليدلّ على عظيم الإيمان بما أَنْزَلَ الله على رسوله محمّد ﷺ؛ وعلى تفاعل المسلمين بمحتواه والعمل بما جاء فيه من التَّشريع، وعلى أنّ إيماننا بما أُنْزِلَ إليكم آتٍ من إيماننا بما أُنْزِل إلينا وهو القرآن وجاء التّعبير عنه بهذه الصِّلَةِ للتَّنبيه على خطأ أهل الكتاب؛ إذ جحدوا أن يُنَزِّلَ الله كتابًا على غير أنبيائهم، ولذلك عَقَّبَ بقوله: ﴿وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾[1]، فالقرآن هو مصدر الإيمان بالكُتُب الأخرى.

بيانُ أنّ القرآن الكريم هو مصدر الإيمان بالكتب الأخرى

سرُّ بناء الفعل ﴿أُنزِلَ﴾ لما لم يُسمّ فاعله:

دلّ الفعل الماضي المبنيُّ للمفعول ﴿أُنزِلَ﴾ على الرّسوخ والقِدَم، ولم يُذكر الفاعل مراعاة لغرض السّامع، فالسّامع لا غرض له في ذكر الفاعل، إذ لا خلاف على من أَنْزَلَ الكتب السّماويّة وهو الله تعالى، ومن ثَمَّ فلا حاجة لذكره، ولكنّ الخلاف في الرّسالة نفسِها وفي نُبوَّة محمّد ﷺ عندهم.

الدلالة على أنّ الرّسالات السّماويّة قديمةٌ راسخةٌ

نكتة تعدية فعل الإنزال بـ(إلى):

عُدِّيَ فعل الإنزال في قوله: ﴿بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾؛ بـ(إلى)؛ والأصل أنّ (إلى) تكون لانتهاء الغاية، فدلّ ذلك على وصول الرّسالة ومعرفتها والعمل بمقتضاها.

فائدة عطف قوله تعالى: ﴿وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾:

فائدة العطف في قوله: ﴿بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾؛ الجمع بين الإنزالين، في المكانة عند الله؛ كون أنّ هذه الرّسالات هي من

الجمع بين إنزال الكُتب السّماويّة قدرًا ومكانةً

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 7.

مصدر واحد، ممّا اقتضى الإيمان بها جميعًا، دون أن يُفرَّق بينهما؛ فقال: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285].

غرض التّقديم والتّأخير بين الإنزالين:

بيانُ هَيْمَنَة القرآن على ما سَبَقَه مِنْ إنزالٍ

في قوله: ﴿بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ قُدِّم الإنزالُ الأخير وهو (القرآن الكريم) خاتم الرّسالات، على الإنزال السّابق له (التّوراة والانجيل)، لبيان الاهتمام ووضوح الإيمان بالرّسالة الّتي لم يطأْها تحريف، ولفائدة بيان إيمان المتحدّث وسبب هدايته، وأنّ الرّسالة المحمّديّة هي المُهيمنة على ما سبقها من الرّسالات، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

معنى الواو في قوله: ﴿وَإِلَٰهُنَا﴾:

الجمع بين رُكنَي الإيمان سبيلٌ لتوحيد الله تعالى

فائدة العطف بالواو في ﴿وَإِلَٰهُنَا﴾ الجمع بين رُكْنَي الإيمان؛ الإيمان بالكُتب المنزّلة عليهم، والإيمان بالله، وبيان التّرقّي في ذكر رُكْنَي الإيمان، مبتَدِئًا من اختلاف الكتابَين ومنتهيًا بوحدانيّة الإله؛ ليكون الجامع بينهما هو التّوحيد لله تعالى.

نكتة إضافة الإله إلى ضمير المتكلّم:

الإلـه الواحد أحقّ بالألوهية والعبادة

لأنّ الإضافة في اللّغة نسبةٌ بين لفظتين؛ تُنسبُ الأولى إلى الثّانية بغيةَ تعريفِها أو تخصيصِها؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُنَا﴾ أضيفت كلمة (إله) إلى ضمير المتكلّم (نا)، لأنّ المؤمنين إذ يَنْسِبون الإلهَ إلى أنفسهم؛ فذلك لبيان اعتقادهم الخالص بأحقيّته بالألوهيّه، وبإيمانهم به، وعبادتهم إيّاه سبحانه.

نكتة التعبير بـ﴿وَٰحِدٌ﴾ مادة وصيغة:

تفخيمٌ وتعظيم لله سبحانه وإخبار عن وحدانيّته في استحقاق العبادة

تنكير لفظة ﴿وَٰحِدٌ﴾ في قوله: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾؛ للتّفخيم والتّعظيم، وللدّلالة على أنّه إله عظيم لا يحدّه تعريف سبحانه، وهو واحدٌ لا ثاني له قيّوم السّموات والأرض وخالق كلّ شيء، ثُمَّ إنَّ موقع

هذه اللّفظة أنّها خبرُ المبتدأ ﴿وَإِلَٰهُنَا﴾، فعلاقة لفظة ﴿وَٰحِدٌ﴾ هي الخبريّة، فبها اكتملت جملة المبتدأ الّتي تضمّنَتْ الحديثَ عن الإله المُستحِقِّ للعبادة، سواء كان الحديث من المُتكلّمين أو من المُخاطَبين جميعًا؛ فبَيَّنَ الخبرُ بأنّ الإله واحدٌ لا ثاني له سبحانه، فلا شريك له في الألوهيّة.

دلالة الوصل بالواو في: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾:

تعريضٌ بأهل الكتاب لاتّخاذهم الأحبارَ والرهبانَ أربابًا من دون الله

وُصِلَتْ جملةُ: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ بما قبلها؛ لما بينها وبين ما يسبقها من التّوسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتّصال، وذلك لأمرين: **الأوّل:** أنّ بين هاتين الجملتين اتّصالًا أو اتّفاقًا يتمثّل في كونهما خبريّتين، وفي وجود الجهة الجامعة أو العلاقة الّتي تُسَوِّغُ عَطْفَ الثّانية منهما على الأولى، وهي هنا علاقة التّضادّ باعتبار أنّنا جميعًا؛ نحن وأنتم؛ آمنّا بإله واحد، هذا معنى الجملة الأولى، أمّا الثّانية فدلّت على كوننا وحّدَنا مسلمون لله دونَكم، **والأمر الثّاني**: أنّ بينهما – مع الاتّصال – اختلافًا من حيث المعنى المدلول عليه بكلّ منهما، فيكون في قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾؛ تعريضٌ باتّخاذهم أحبارَهم ورهبانَهم أربابًا من دون الله[1]، لتكون هذه الجملة وما قبلها ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ أصلًا في آداب المناظرة والجدل.

دلالة التّعبير بـ(نَحْنُ):

عدمُ الإشراك بالله تسليمٌ له تعالى

يمكن أن يكون المراد بالضّمير المنفصل (نحن) في قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ كلا الفريقين؛ فريقَ المتكلّمين، وفريقَ المُخاطَبين، فيشمل المسلمين وأهلَ الكتاب، وحينها يكون المرادُ بالوَصْفِ ﴿مُسْلِمُونَ﴾ أحدَ إطلاقَيْهِ؛ وهو إسلام الوجه إلى الله؛

(1) البَيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 196، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 559.

أي: عدم الإشراكِ به سبحانه، أي: وكلانا مسلمون للّه تعالى لا نشرك معه غيره[1].

معنى اللّام في: ﴿لَهُۥ﴾:

اللّام في قوله: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ تفيد الاختصاص؛ أي بالمِلْكيّة، فقد ذكر سيبويه أنّ معناها المِلْك والاستحقاق[2]، وهذا هو الاستحقاق الّذي يؤدّيه العبد تجاه خالقه؛ وهو الايمان به، والعمل بما أنزل، والاستسلام لأمره سبحانه.

استحقاق الخالق لاختصاص مِلْكه بنا ولاستسلامنا لأوامره سبحانه

نكتة تقديم شبه الجملة ﴿لَهُۥ﴾:

تقديم الجارّ والمجرور ﴿لَهُۥ﴾ على موضع تعلّقِهِ ﴿مُسۡلِمُونَ﴾ في قوله: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾؛ جاء لإفادة الاختصاص؛ أي: مطيعون للّه خاصّة[3]، وفيه تعريضٌ بالمشركين وبالّذين ظلموا من أهل الكتاب؛ الّذين لم يفردوا اللّهَ بالألوهيّة، فإعلان الإسلام للّه سبحانه إشعارٌ لهم ببعدهم عمّا ينبغي أن يفعله كلّ إنسان تِجاهَ خالقه.

إعلان الإسلام للّه تعالى إشعارٌ ببعد أهل الكتاب عنه

دلالة التّعبير بـ﴿مُسۡلِمُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

الإسلام هو الخضوع والإذعان، والانقياد التامّ لأوامر اللّه ونواهيه، وهو لفظ مشتقٌّ يراد به الاستسلامُ أو الطّاعة المُطلَقَة، ويُقال: (أَسْلَمَ) لمن دخل في دين الإسلام، وقوله: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾؛ أي خاضعون منقادون إلى تنفيذ أوامر اللّه سبحانه وأحكامه أتمّ انقياد، وصيغة ﴿مُسۡلِمُونَ﴾ دلّت على طلب تحقيق القبول عند اللّه من خلال الجدّ في الانقياد إلى ما أمر اللّه والانتهاء عن نواهيه تعالى.

الاجتهاد والانقياد إلى أوامر الله تعالى

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الجدال والمُحاوَرَة:

الجدال من (جدل)، وهو من باب استحكام الشَّيء في استرسالٍ

المنهي عنه مع أهل الكتاب الكلام الّذي مُؤَدّاه إلى الخصومة والمشاحنة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 8.
(2) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 2/ 304.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 4.

يكونُ فيه، وامتدادِ الخصومةِ ومراجعةِ الكلامِ[1]، وجدلَ الشَّيءَ؛ أحْكَمَ فتْلَه[2]، فدلّ الجدال على المشاحنة والخصومة في القول، أمّا المُحاوَرَة من (حور)؛ والْحَوْرُ: مَصْدَرُ حارَ حَوْرًا رَجَعَ، فيقال حار، إذا رجع، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ [الانشقاق: 14]، فمعنى الحَوْر إذن الرُّجوعُ إلى الشَّيءِ، ومنه المُحاورة وهو إعادة الكلام بغية تحسين الحجّة، وهذا المعنى ليس المنهيّ عنه، وإنّما المنهيُّ عنه الجَدَل الّذي يؤدّي إلى المشاحنة والخصومة؛ ولذلك اختيرت هذه اللّفظة في معرض النّهي.

الظُّلم والجَوْر:

ظُـلـمُ المـشـرك لنفسه آتٍ مِن اخْتلالِ عَقْلِه، في تَنَقُّصِ ربِّه، بِـوَضْـعِ صفاتِ الخالقِ في خَلْقِه

أصْلُ الظُّلْمُ وضْعُ الشَّيْءِ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ[3] وأصْلُ الجَوْرِ المَيْلُ عَنِ الطَّريقِ[4]، ومعنى الظُّلم نُقصانُ الحَقِّ، ومعنى الجَوْرِ العُدولُ عن الحَقِّ، والجَوْرُ خِلافُ الاستِقامةِ في الحُكم، وفي السّيرةِ السُّلطانيَّةِ، تَقولُ: جار الحاكِمُ في حُكمِه، والسُّلطانُ في سيرَتِه: إذا فارَقَ الاستِقامةَ في ذلك، والظُّلمُ ضَرَرٌ لا يُستَحَقُّ ولا يُعقِبُ عِوَضًا، سَواءٌ كان مِن سُلطانٍ أو حاكِمٍ أو غَيرِهما؛ ألا تَرى أنَّ خيانةَ الدّانقِ والدِّرهَمِ تُسَمَّى ظُلمًا، ولا تُسَمَّى جَوْرًا، فإن أُخِذَ ذلك على وجهِ القَهرِ أو المَيلِ سُمّي جَوْرًا، وخولِفَ بَينَ النَّقيضَينِ، فقيل في نَقيضِ الظُّلم: الإنصافُ، وهو إعطاءُ الحَقِّ على التَّمامِ، وفي نَقيضِ الجَورِ العَدلُ، وهو العُدولُ بالفِعلِ إلى الحَقِّ[5].

والمشرك ظالم لنفسه لا لربِّه؛ فهو لا يضرُّ اللّهَ شيئًا، وإنّما ظَلَمَ نفسَه؛ لأنَّه عَطَّل عقلَه، "فاعْتقدَ الأُلوهيَّةَ لغيرِ الإله الحقِّ، فصرفها

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: 1/ 433.
(2) ابن سِيْدَهْ، المحكم: 7/ 322.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: 3/ 468، والفيّوميّ، المصباح المنير، ص: 146، والراغب، المفردات، ص: 537.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: 1/ 493.
(5) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 385.

لغير مُستَحِقِّها"[1]، ووَضَعَ العبادةَ في غيرِ موضعِها، والظّالمون مِن أهل الكتاب في الآية ليسوا همُ الّذين لم يؤمنوا برسالة سيِّدنا محمّدٍ ﷺ، بل هم الّذين رَضوا بأنْ يجعلوا للّه شريكًا ابنًا، أو جعلوه ثالثَ ثلاثةٍ تعالى اللّه عن ذلك، فالشّرك ظُلمٌ لأنّه ضلالٌ مبينٌ، وافتراءٌ كبيرٌ، وسببٌ لاختلالِ التَّصوُّرِ الحقِّ، ولاستجلابِ الخُرافة، وهو تَنَقُّصٌ لربِّ العالمين، وتشبيهٌ للمخلوقِ بالخالقِ؛ في خصائص الأُلوهيّةِ من مُلْكِ الضُّرِّ والنَّفْعِ، والعطاء والمنع؛ واعتقادٌ بمَن لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا أنّه خالق رازق قادر نافع ضارٌّ، ولأجل هذا كلِّه جاء التّعبير في الآية عن الّذين اتّصفوا بهذه الأوصاف من أهل الكتاب بأنّهم ظَلَموا، لذا تَمَّ استثناؤهم من الجدال بالّتي هي أحسن.

(1) القُرطبيّ، المُفْهِم لِما أَشْكل من تلخيص كتاب مسلم: 1/ 334.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»